

اعتراضات وما صلبوه ... وما قتلوه يقينا والرد عليها

بقلم
القمص زكريا بطرس

هذه السلسلة

انتشرت في الأسواق كتب الشيخ أحمد ديدات الداعية الإسلامي. وكان قد تقابل مع بعض رعاة الكنائس في أمريكا وأوروبا وحاورهم عن المسيحية والإسلام ونشرت هذه المحاورات في كتب وأشرطة كاسيت وأشرطة فيديو، وعملت لها دعاية عالمية في كل الأقطار. ويستخدمها المتعصبون والمتطرفون في إحراج المسيحيين البسطاء، الذين لا دراية لهم بالفكر اللاهوتي أو الجدل العقدي. وقد لجأ إلينا الكثير من أبنائنا للاستفسار والرد على هذه التهجمات على معتقداتنا المسيحية، الأمر الذي اضطرني للكتابة والرد على فضيلته، موضحا الحق خالصا الذي غاب عن فكره.

وقبل أن نسترسل في الرد نريد أن نوضح منذ البداية دوافعنا لنشر هذه الكتب والردود. وأيضا أهدافنا التي نصبو إليها، ثم أسلوبنا في الكلام.

أولا: دوافعنا:

دوافعنا هي:

- ١- المحبة القلبية لله: كما يقول الكتاب المقدس: "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك" (مر ١٢: ٣٠)
- ٢- المحبة لجميع الناس: "تحب قريبك كنفسك" (مت ٢٢: ٣٩)

ثانيا: أهدافنا:

- ١- تمجيد اسم الله القدوس كما هو مكتوب: "إذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئا فافعلوا كل شيء لمجد الله" (١كو ١٠: ٣١)
- ٢- خير كل النفوس "فلنعمل الخير للجميع" (غل ٦: ١٠)

ثالثا: أسلوبنا:

- ١- احترام حرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرية الفرد فيما يفكر وفيما يعتقد وفيما يعتنق.
- ٢- نحن على استعداد للرد على من يسألنا، عملا بقول الكتاب المقدس: "مستعدين دائما لمجوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف" (١بط ٣: ١٥)
- ٣- نحن حريصون على التحفظ من المناقشات السوفسطائية، أو المجادلات العقيمة، فالكتاب المقدس يحذرننا من ذلك قائلا: "المباحثات الغبية والسخيفة اجتنبها عالما أنها تولد خصومات، وعبد الرب لا يجب أن يخاصم..." (٢تي ٢: ٢٣ و ٢٤)
- ٤- عندما نرد على أي اتهام، ونشرح إيماننا، فإن ذلك لا يعني قط أننا نحقر عقائد الآخرين، أو نجرح مشاعرهم، بل نحن حريصون كل الحرص على أدب المناقشة، وخلق الحوار، بكل احترام ولباقة.
- ٥- نحن بروح المحبة والتفاهم نبحث عن أرضية مشتركة ونقاط الاتفاق فيما بيننا، ولسنا من هواة تصيد ما نظن من وجهة نظرنا أنها أخطاء، لأننا نعلم أن هناك تفاسير من وجهة نظر الطرف الآخر مقنعة له، وإن كانت ليست بالضرورة مقنعة لنا. والعكس صحيح.
- ٦- إذن فنحن نرد ونعبر عن وجهة نظرنا بالمنطق الذي نؤمن به، فإن وافقت القارئ كان بها، وإن لم توافقه فليلقها عنه، بعد أن يكون قد عرف وجهة نظرنا. وننتهي جميعا إلى المحبة التي لا نساوم عليها ولا نضحى بها،

فقيمة الإنسان "كل إنسان" عندنا هي قيمة عظيمة، إذ هو خليفة الله ومحبوب منه. ونحن إذ نحب الله نحب كل من يحبهم الله ويحبونه.

٧- نحن حريصون على عدم توجيه الكلام الجارح والشتائم التي لا تليق، فنحن بعيدون كل البعد عن ذلك، ولا نرضى به. فإننا بالمنطق الهادئ نتكلم ليدوم لنا السلام والمحبة.

٩- ولكي نحقق ذلك الهدف ونتحاشى المصادمات، فلنستبعد من حساباتنا فكرة: "الغالب والمغلوب" أي من هو الغالب ومن هو المغلوب، ومن سيكسب المناقشة، وكأننا في معركة شرف. لهذا ينبغي أن نميز بين المناقشات الموضوعية ولا نحولها إلى مواقف شخصية. [OBJECTIVE NOT SUBJECTIVE]

١٠- نحن نحرص على أن لا تكون ردودنا سطحية، بل هي نتيجة دراسة وافية متعمقة، حتى نكون راضيين عن أنفسنا بأننا نقدم الحق كاملاً غير منقوص، ونرجو أن تكون الردود مرضية أيضاً للسائل المخلص الذي يريد أن يعرف الحق خالصاً.

المؤلف

مدخل الرد على الشيخ ديدات

مع من أدار الشيخ ديدات الحوارات؟

بكل أسف شديد لقد ذهب الشيخ ديدات إلى أناس من أمريكا ومن أوروبا وتخير الأشخاص الذين لا يعرفون شيئاً عن الدين الإسلامي وبالتالي لا يعرفون شيئاً عن حوار الأديان وخاصة بين المسيحية والإسلام. فجاءت حواراته كأنها من جانب واحد.

تماماً مثلما ينازل مصارع محترف إنساناً بريئاً لا يدري شيئاً عن هذه اللعبة. أفلا تكون المباراة من جانب واحد؟ وهل بعد المباراة يتباهى المصارع المحترف بهزيمة البريء الذي نازله الصراع؟

لماذا لم يفكر الشيخ ديدات بأن يدير حواراته مع أحد المسيحيين المختصين بالأديان المقارنة من أبناء الشرق الأوسط وخاصة مصر العريقة؟

الرد على الموضوعات التي أثارها الشيخ ديدات:

لقد أثار الشيخ ديدات العديد من الموضوعات بخصوص إيماننا في:

- ١- الله الواحد مثلث الأقانيم.
- ٢- تجسد المسيح ابن الله.
- ٣- صلب المسيح وحتمية الفداء.
- ٤- صحة الكتاب المقدس وعدم تحريفه.
- ٥- فر حزقيال إصحاح ٢٣، عن أهولة وأهوليبة.
- ٦- سفر نشيد الأنشيد.
- ٧- تحليل الخمر.
- ٨- المفارقة بين عدد شعب إسرائيل.
- ٩- المفارقة بين عدد شعب يهوذا.
- ١٠- المفارقة بين عدد سنوات الجوع في صموئيل الثاني، وأخبار أيام الأول.

وقد أصدرنا عدة كتب للرد على هذه الموضوعات.

وستجد في هذا الكتاب الرد على اعتراضات (وما صلبه ولكن شبه لهم، وما قتلوه يقيناً ولكن رفعه الله).

الباب الأول

اعتراض وما صلبوه ولكن شبه لهم

لقد ناقشنا في كتب سابقة موضوع صلب المسيح، فتحدثنا عن جانب محبة الله وخلقة الإنسان، ثم عدل الله عندما أخطأ آدم وحكم عليه بالموت، ثم خطة الله الحكيمة بتدبير الفداء، وناقشنا شروط الفادي التي اكتملت في شخص المسيح. وفي هذا الكتاب نناقش الاعتراض الخاص: بكون المسيح لم يصلب ولكن شبه لهم.

ويأتى هذا الاعتراض من منطلق الآية القرآنية المذكورة فى:

سورة النساء آية ١٥٧ "وقولهم (يقصد اليهود) إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. وما صلبوه ولكن شبه لهم..."
توحي هذه الآية في ظاهرها بأن المسيح لم يصلب ولكنه شبه لهم.

دعنا أيها القارئ العزيز نناقش هذا الأمر من عدة جوانب بحكمة وروية دون انفعال أو تسرع، حتى نستكشف بواطن الأمور.

أولاً

لقد تضاربت أقوال علماء المسلمين بخصوص تفسير هذه الآية

نذكر بعضاً من هذه الأقوال كما جاءت في كتاب جامع البيان (ص ١٢-١٦) فقد قيل:

(١) أن الله ألقى شبه المسيح على أحد الحواريين ويدعى سرجس:
إذ قيل: "حدثني رجل كان نصرانيا وأسلم أن عيسى حين جاءه من الله أني رافعك إليّ، قال: يا معشر الحواريين، أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة، على أن يُشَبَّهَ للقوم في صورتي، فيقتلوه مكاني؟ فقال سرجس: أنا يا روح الله.

قال له عيسى: فاجلس في مجلسي. فجلس فيه، ورُفِعَ عيسى، فدخلوا عليه فأخذوه فصلبوه وشبهه لهم، إذ راوا الوجه وجه عيسى والجسد ليس جسده، ولكن آخرون قالوا هو هو"

(٢) وقيل أن الله ألقى شبه المسيح على يهوذا الذي أسلمه لليهود.
فقد جاء في نفس المرجع السابق "قال آخرون: نافق أحد تابعي عيسى (أي يهوذا) وجاء مع اليهود ليدلهم عليه، فلما دخل معهم لأخذه، ألقى الله عليه شبهه، فأخذ وقتل وصلب"

(٣) وقيل أن الله ألقى شبه المسيح على أحد جنود الرومان:
فنقرأ في ذات المرجع "أن اليهود حين اعتقلوا عيسى، أقاموا عليه حارساً. ولكن عيسى رفع إلى السماء بأعجوبة، وألقى شبهه على الحارس، فأخذ وصلب وهو يصرخ ويقول: أنا لست بعيسى"

(٤) وذكر الإمام البيضاوي: أنه قيل دخل طيطاوس اليهودي بيتاً كان عيسى فيه فلم يجده، فألقى الله عليه شبه عيسى. فلما خرج ظنوا أنه عيسى فأخذوه وصلبوه.

(٥) وقيل "إن الله ألقى شبه عيسى على إنسان آخر، فصلب هذا الإنسان بديلاً عنه"
(كتاب جامع البيان ص ١٢-١٦)

فقل لي أيها القارئ العزيز: من نصدق من هؤلاء الرواة؟ وماذا نصدق من تلك الروايات؟؟

هل الذي وقع عليه شبه المسيح فصلب عوضاً عنه هو: سرجس؟ أم يهوذا؟ أم الحارس؟ أم طيطاوس اليهودي أم إنسان آخر؟ أم من؟؟؟؟

ونحن نعلم جيداً القاعدة القانونية التي تقول أنه إذا تضاربت أقوال الشهود كان ذلك برهاناً على بطلان الادعاء أساساً!!!

أفليس هذا كافياً للرد على هذا الاعتراض؟
ولكن دعنا نعطي أجوبة أخرى منطقية كما تعودنا.
لقد تكلمنا في النقطة السابقة عن تضارب أقوال المفسرين لتعبير "شبه لهم" وناقش جانب آخر وهو:

ثانياً

هل كان الله محتاجاً أن يقوم بهذه التمثيلية؟

وما الذي يضطره إلى ذلك؟ ألم يكن الله قادراً أن يرفع المسيح دون بديل وكفى؟

أم أنهم يريدون تأكيد مبدأ **الفداء** (الذي ينكرونه) وذلك بصلب بديل عن المسيح، ولكن بطريق الغش والخداع!!!

وهل جاء المسيح كفاداً للبشرية؟ أم أنه احتاج إلى من يفديه ويصلب بدلاً منه!!

هذه الأسئلة وغيرها تفرض نفسها على الساحة، ليستبين الحق من الباطل. وإني أترك الإجابة لعقول المفكرين المخلصين، ولسوف يدركون يقيناً أن الله لم يكن في حاجة إلى مثل هذه التمثيلية الخادعة التي اخترعها بعض المفسرين. ثم نأتي إلى جانب ثالث هو:

ثالثاً

هل هذا الكذب والخداع من أخلاقيات الله الحق والصادق والأمين؟

ألا يدري هؤلاء المفسرون ما قاله القرآن الكريم بخصوص الخداع والكذب، والصدق والحق:

سورة البقرة (٨-١٠): "ومن الناس من يقول: آمنا بالله وباليوم الآخر، وما هم بمؤمنين، يخادعون الله، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرض، فزادهم الله مرضاً. ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون" أفبعد هذا كله ينسبون إلى الله **الخداع** وهو مرض له عذاب أليم!! حاشاً!

سورة الأنعام (٥٧): "... إن الحكم إلا لله يقص الحق" وأيضاً في:

سورة النور (٢٥): "ويعلمون أن الله هو الحق المبين" الله هو الحق فكيف ينسبون إليه **الباطل**؟؟؟

سورة الأنعام (١١٥): "وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته" كلمات الله صادقة وإضافي:

سورة آل عمران (٦١): "... لعنة الله على الكاذبين" يلعن الله الكاذبين فكيف ينسبون إليه **الكذب**؟؟

الواقع أننا نربأ بأن تكون هذه من أخلاقيات الله سبحانه، فلا يصح تفسير الآيات بما ينسب لله أمراض البشر من خداع، وباطل، وكذب، التي تستحق العقاب والعذاب الأليم!!! ولنتنقل الآن إلى مناقشة جزئية أخرى وهي:

رابعاً

تفسيرات أكثر حكمة لعلماء الإسلام الأفاضل

بخصوص تعبير "شبه لهم"

(١) يقول الفقيه الكبير الإمام الرازي في كتابه (تفسير الرازي جزء ٣ ص ٣٥٠):
"إن جاز أن يقال إن الله تعالى يلقي شبه إنسان على آخر فهذا يفتح باب السفسطة. فلربما إذا رأينا (زيداً) فلعله ليس (بزيد) ولكن ألقى شبه "زيد" على شخص آخر!! وإذا تزوج رجل (فاطمة)، فلعله لم يتزوج (فاطمة) ولكن ألقى على (خديجة) شبه (فاطمة) فيتزوج خديجة وهو يظن أنها فاطمة".
وخلص الإمام الرازي إلى حقيقة خطيرة فقال:
"لو جاز إلقاء شبه أحد على شخص آخر فعندئذ لا يبقى الزواج ولا الطلاق ولا التملك موثقاً به".

فالإمام الرازي يستبعد أن يكون المقصود من هذا التعبير "شبه لهم" هو إلقاء شبه المسيح على إنسان آخر!!

(٢) ويقول الإمام البيضاوي: "يمكن أن يكون المراد من ذلك هو أنه قد صلب الناسوت وصعد اللاهوت".
(تفسير البيضاوي جزء ٢ صفحة ١٢٨)

خامساً

ما المقصود بتعبير شبه لهم؟؟

(١) ربما أراد القرآن الكريم أن يقول أن معنى "شبه لهم" هو أنهم بصلبهم للمسيح قد شبه لهم أنهم قد قضاوا على المسيح ورسالته، ولكن هيهات أن يقضوا عليه أو علي رسالته، بل شبه لهم ذلك.

(٢) وهناك معنى آخر هو أنه شبه لهم أنهم هم الذين قتلوه والواقع أن الله هو الذي سمح بذلك وفعل كما جاء في:

سورة الأنفال (١٧): "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ، وَمَا رَمَيْتُ إِذَا رَمَيْتُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى..."

(٣) كما أنه يوجد معنى آخر هو أن من قتل في سبيل الله ليس ميتاً، فيكون معنى الآية أنه شبه لهم أن المسيح قد مات، والواقع أنه حي عند ربه كما جاء في القرآن الكريم في هذا المعنى قوله في:

أ. سورة آل عمران (١٦٩): "وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ هُمْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"

ب. سورة البقرة (١٥٤): "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ"

(٤) وقد يكون المقصود هو صلب الناسوت وعدم إمكان صلب اللاهوت، وهذا ما أشار إليه الأمام البيضاوي بقوله: "... صلب الناسوت وصعد اللاهوت"

(تفسير البيضاوي جزء ٢ صفحة ١٢٨)

والواقع أن قول البيضاوي هذا صحيح من جهة صلب الناسوت ولكنه غير صحيح في من جهة ما يقوله عن صعود اللاهوت، لأننا نؤمن أن الصلب حدث للناسوت فعلاً وهو الذي تأثر بعملية الصلب أما اللاهوت فلم يفارق

الناسوت لحظة واحدة ولا طرفة عين، وإن كان اللاهوت لم يتأثر بعملية الصلب. ويمكن فهم هذه الحقيقة عندما ننظر إلى قطعة من الحديد المحماة بالنار، عندما نطرقها بمطرقة نجد أن الحديد فقط هو الذي يتأثر بالطرق، أما النار فلا تتأثر.

عموما إن هذا القول الذي ذكره الإمام البيضاوي سابقا وإن كان غير صحيح من جهة ما قاله عن صعود اللاهوت، لكننا نرى فيه إشارة جلية بأن المسيح قد صلب فعلاً بالناسوت دون أن يتأثر اللاهوت.

سادساً

لماذا ينكر الإسلام أن اليهود قد قتلوا المسيح؟ ألم ينسب القرآن لليهود أنهم قتلوا الأنبياء؟

في سورة البقرة (٨٧) "... أفكلماً جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون"
سورة البقرة (٦١) "... كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق"
سورة البقرة (٩١) "قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين"
سورة آل عمران (١١٢) "... ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ..."

يتفق هذا مع ما جاء في الكتاب المقدس عن قتل اليهود للأنبياء ورجال الله، فقد قيل في:
سفر نحemia (٩: ٢٦) "وعصوا وتمردوا عليك ... وقتلوا أنبياءك ..."
لوقا (١١: ٤٩) "إني أرسل إليهم أنبياء ورسلاً فيقتلون منهم ويطردون"
رومية (١١: ٣ و ٢) "إيليا يتوسل إلى الله ضد إسرائيل قائلاً: يارب قتلوا أنبياءك وهدموا مذبحك وبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي"

والواقع أنا لست أدري لماذا يصر بعض مفسري القرآن على نفي وقوع الصلب على المسيح؟!

سابعاً

السبب وراء هذا الإنكار

يرجع سبب إنكار البعض لصلب المسيح على الأرجح للأسباب الآتية:

(١) من الثابت تاريخياً وبشهادة كتب التاريخ وكتب الدين أن محمداً قد تعرف على راهب يدعى بحيرا في دير على طريق القوافل من مكة إلى الشام (الموسوعة العربية الميسرة ص ٣٣٠)

(٢) ومن الثابت أن هذا الراهب بحيرا كان نسطوريا (ابن هشام الجزء الأول ص ١٦٦) له إعتقادات خاطئة عن السيد المسيح.

(٣) كما كان أيضاً ورقة ابن نوفل ابن عم السيدة خديجة زوجة النبي قسا في مكة تابعا للبدعة الأبيونية وهي فرقة نصرانية اعتقدت بتعاليم تخالف تعاليم المسيحية ومن تعاليمها أن لاهوت المسيح قد فارق ناسوته على

الصليب (تاريخ اليعقوبي الجزء ١ ص ٢٥٤-٢٥٧). ولعل هذا ما قصدته الآية القرآنية في سورة النساء ١٥٧ القائلة بأنهم لم يصلبوه يقينا. وهذا ما فسره الإمام البيضاوي بقوله: "قال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت" (تفسير البيضاوي جزء ٢ صفحة ١٢٨)

ثامنا حقيقة صلب المسيح

دعنا الآن نستوضح حقيقة صلب المسيح من الكتاب المقدس، ومن القرآن الكريم، ومن علم الآثار والتاريخ.

أولاً: الصلب في الكتاب المقدس:

١- "ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى جمجمة صلبوه هناك ... " (لو ٢٣: ٢٣)، (مت ٢٧)، (مر ١٥)، (يو ١٩)

٢- يشهد كلام بيلاطس الحاكم الذي كان يستجوب المسيح قبل الحكم بصلبه بشهادة لا تنطبق إلا على المسيح شخصياً، وليس على سواه، إذ قال: "ها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه ولا هيروُدس أيضاً لأنني أرسلتكم إليه. ... فصرخوا قائلين: اصلبه اصلبه ... فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم" (لو ٢٣: ١٣-٢٤)

٣- ومن كلمات المصلوب على الصليب نجد أنها تدل على أن الذي صلب ليس شخص آخر غير المسيح. فهو يطلب الغفران لصالبيه قائلاً: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون"، ويقول للصليب معه "اليوم تكون معي في الفردوس" [في حين أن إحدى روايات شبه لهم تقول أن الذي ألقى عليه الشبه كان يصرخ ويقول: أنا لست بعيسى].

من هذا يتضح أن الذي صلب هو المسيح وليس شخصاً آخر أيا كان.

ثانياً: الصلب في القرآن:

(نجد في آيات القرآن الكريم تلميح بالقتل وتصريح بالوفاة) ففي:

١- سورة البقرة (٨٧): "ولقد آتينا موسى الكتاب ... وآتينا عيسى ابن مريم البينات، وأيدناه بروح القدس، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، ففريقاً كذبتم، وفريقاً تقتلون" لاحظ المقابلة بين موسى وعيسى في هذه الآية، فاليهود قد كذبوا موسى ولكنهم قتلوا عيسى.

٢- سورة آل عمران (٥٥): "مكروا (أي اليهود) ومكر الله والله خير الماكرين. إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا". فمن هذه الآية يتضح أن المسيح قد توفي قبل أن يرفع للسماء.

٣- سورة مريم (٣٣): "والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) ومن هذه الآية يتضح أن المسيح مات قبل أن يبعث حيا.

٤- سورة المائدة (١٢٠): (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) من هذا أيضا يتضح أن المسيح توفي على أيدي اليهود وكان الله رقيباً عليهم.

ثالثاً: شهادة علم الآثار والتاريخ:

لنبحث أيها الأحباء في العلوم التي لا تكذب لنستجلي حقيقة الأمر، فهي بنا لنقلب صفحات التاريخ وننقب أعماق الآثار:

١- لقد عثر علماء الآثار على أصل الحكم الذي أصدره بيلاطس البنطي وإلى اليهودية بصلب المسيح: وهو عبارة عن لوح من النحاس الأصفر منقوش عليه باللغة العبرية.

وتم الكشف في عام ١٢٨٠ بمدينة أكويل من أعمال نابولي أثناء البحث عن الآثار الرومانية.

[نص الحكم الذي أصدره بيلاطس البنطي على يسوع الناصري بالموت صلبا:]

في السنة السابعة عشرة من حكم الامبراطور طيباريوس قيصر الموافق اليوم الخامس والعشرين من شهر أزار بمدينة أورشليم المقدسة في عهد الحبرين حنان وقيفا وحكم بيلاطس الوالي الجالس للقضاء في دار مجمع البروتورين على يسوع الناصري بالموت صلبا بناء على الشهادات الكثيرة البينة المقدمة من الشعب أن يسوع الناصري:

أولا: مضل يسوق الناس إلى الضلال.

ثانيا: إنه يحرض الناس على الشغب والهيّاج.

ثالثا: أنه عدو الناموس.

رابعا: أنه يدعو نفسه ابن الله.

خامسا: أنه يدعو نفسه ملك اليهود.

سادسا: أنه دخل الهيكل ومعه جمع غفير من الناس حاملين سعف النخل.

فلهذا يأمر بيلاطس البنطي كونيونيوس كرنيليوس قائد المئة الأولى أن يأتي ببسوع إلى المحل المعد لقتله وعليه أيضا أن يمنح كل من يتعدى لتنفيذ هذا الحكم فقيرا كان أم غنيا.]

٢- يؤيد هذا ما جاء في التلمود المطبوع في أمستردام سنة ١٦٤٣ في فصل: السنهدريم ص ٤٣ حيث قيل:

[إن يسوع قد صلب قبل الفصح بيوم واحد وأنه قتل لأنه ساحر وقصد أن يخدع إسرائيل]

٣- ودون يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي عاصر الرسل في الفصل الثالث: [قد نشأ يسوع إنسانا حكيما .. وادعى أنه المسيح، وعندما حكم عليه بيلاطس البنطي بالصلب بسبب شكاية وجوه أمتنا بقي الذين كانوا قبلا يعتبرونه يفعلون هكذا لأنه عاد فظهر حيا في اليوم الثالث. وشيعة المسيحيين الذين أخذوا اسمهم منه باقون إلى نفس هذا اليوم]

٤- شهادة تاسيتوس المؤرخ الروماني الذي دون حوادث المملكة الرومانية من موت أوغسطس قيصر سنة ١٤ م إلى موت نيرون سنة ٦٨ م قال عن المسيح: [كانت هناك فئة من الشعب اسمهم عند العامة مسيحيين وقد اتخذوا اسمهم من المسيح رئيسهم الذي قتل كمذنب في ملك طيباريوس عند ما كان بنطيوس بيلاطس واليا]

٥- كتابات الفيلسوف الوثني سلسوس الذي كتب ضد عقيدة المسيحيين بخصوص لاهوت المسيح قال: [لو كان اعتقاد دعاة المسيح صحيحا فكيف أنكره أحدهم وكيف خانته الآخر حتى دفعه للموت. وكيف يعبدون مسيحا مصلوبا]

٦- كتب الفيلسوف الشهيد يوستينوس والعلامة ترتليانوس من آباء الكنيسة في القرن الثاني الميلادي إن حكم بيلاطس البنطي بصلب المسيح محفوظ في سجلات الإمبراطورية الرومانية بروما.

[Ante Nicene Fathers Vol. 1 P160]

هكذا رأينا أيها الأحباء من هذا العرض السريع للرد على اعتراض وما صلبوه ولكن شبه لهم، وقد ناقشنا:

١- تضارب أقوال المفسرين المسلمين لتعبير شبه لهم.

٢- عدم احتياج الله لمثل هذه التمثيلية لتخليص المسيح من الصلب.

٣- أن الكذب والخداع في هذه التمثيلية ليس من أخلاقيات الله سبحانه.

٤- أن أقرب التفسير لعبارة شبه لهم هو وقوع الصلب على الناسوت مع عدم تأثر اللاهوت كما قال البيضاوي.

٥- كما أنه يفهم من ذلك التعبير ولكن شبه لهم أنه قد شبه لهم أنهم قضوا على المسيح ولكنه حي في السماء ورسالته باقية على الأرض.

٦- أن اليهود فعلا هم قتلة الأنبياء الأبرياء بدون وجه حق.

٧- رأينا حقيقة صلب المسيح من الكتاب المقدس والقرآن الكريم وشهادة علم التاريخ والآثار.

وختاما

لي تعليق بسيط عن المفسرين الذين
أتوا بعد حادثة الصلب بأكثر من ٦٠٠ سنة
أي في عهد الإسلام، ويفسرون آية
"وما قتلوه يقينا بإنكارهم للصلب والموت"
أقول إن مثلهم كمثل الذين يأتون بعد ٦٠٠ سنة
من الآن ويقولون عن السادات الذي قتل
في حادث المنصة سنة ١٩٨١ : "
وما أغتيل يقينا ولك شبه لهم !!!
هل يجدون آذانا صاغية؟
وهل يصدقهم أحد ويكذب الواقع والتاريخ؟؟
وهكذا رأينا بالدليل القاطع عدم صحة الاعتراض
القائل بأنهم
"ما صلبوه ولكن شبه لهم".

الباب الثاني

الاعتراض

"وما قتلوه يقينا ولكن شبه لهم"

المسيح لم يقتل ولكن الله رفعه إليه!

ويعتمد هذا الاعتراض على النصف الثاني من آية ١٥٧ من: + سورة النساء آية ١٥٧ "وقولهم (أي اليهود) إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. وما صلبوه ولكن شبه لهم... (إلى قوله) وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما"

وأصحاب هذا الاعتراض يرون أن القرآن يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن المسيح لم يصلب ولم يقتل بل رفعه الله إليه بحسب ما هو ظاهر من هذه الآية!!

ولكن دعنا نضع إلى جوار هذه الآية بعض الآيات القرآنية الأخرى وبعض أقوال علماء المسلمين والمفسرين، لنستوضح حقيقة ما تقصده هذه الآية، وإليك بعض تلك الآيات القرآنية الكريمة فيما يلي:

١- سورة آل عمران (٥٥): "مكروا (أي اليهود) ومكر الله والله خير الماكرين. إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة". فمن هذه الآية يتضح أن المسيح قد توفي قبل أن يرفع للسماء.

٢- سورة مريم (٣٣): "والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) ومن هذه الآية يتضح أن المسيح مات قبل أن يبعث حيا.

٣- سورة المائدة (١١٧): "فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد" من هذا أيضا يتضح أن المسيح توفي على أيدي اليهود وكان الله رقيبا عليهم.

ودعنا نستعرض أقوال علماء المسلمين في تفسير معنى الوفاة كما جاءت في هذه الآيات: فلقد انقسم مفسرو القرآن الكريم في تفسير معنى الوفاة إلى فريقين:

الفريق الأول

فسر معنى الوفاة تفسيراً مجازياً

١- فقال البعض أن الوفاة تعني النوم وليس الموت: ويستندون على ما جاء بالقرآن الكريم في:
+ سورة الأنعام (٦٠): "وهو الذي يتوفاكم بالليل ..."
+ سورة الزمر (٤٢): "الله يتوفى الأنفس عند موتها، والتي لم تمت في منامها، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى"

وعلى هذا الأساس يفسر الإمام البيضاوي وفاة المسيح قائلا: "متوفيك نائماً، إذ رُوي أنه رُفِعَ نائماً".

٢- وقال آخرون أن الوفاة تعني استيفاء الحق أي أخذ حقه بالكامل. [المعجم الوسيط جزء ٢ ص ١٠٤٧]
وهذا ما ذهب إليه الإمام البيضاوي في أحد تفسيراته لسورة آل عمران (٥٥) "... إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ..."
قال البيضاوي: "أي مستوفي أجلك ... وعاصما إياك من قتلهم"

٣- وقال البعض أن الموت هو موت عن الشهوات:
إذ يقول الإمام البيضاوي أيضاً: "مميّتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت"
هذه بعض آراء الذين فسروا الوفاة تفسيراً مجازياً، ثم نأتي إلى:

الفريق الثاني

الذي فسر معنى الوفاة تفسيراً حقيقياً

ومنهم الأمام الرازي الذي قال: "روى ابن عباس ومحمد ابن اسحق أن معنى متوفيك أي مميّتك".
(تفسير الرازي جزء ٢ ص ٤٥٧)

ومنهم أيضاً السيوطي الذي قال: في كتاب (الإتقان جزء ١ ص ١١٦) "متوفيك: مميّتك"
+++ والواقع أن أصحاب هذا الرأي قد اختلفوا في تقدير مدة موت المسيح والتي رفع بعدها للسماء حياً، فقد جاء في كتاب (جامع البيان ص ٢٨٩ - ٢٩٢) ما يلي:

١- عن ابن حميد ... عن ابن إسحق عن وهب ابن منبه أنه قال: "توفي المسيح ثلاثة ساعات حتى رفعه"
(جامع البيان)

٢- وقال محمد ابن اسحق: "توفي سبع ساعات ثم أحيا الله ورفعته"

٣- والإمام البيضاوي: ذكر خمسة آراء في تفسير هذه الوفاة هي:
+ "إني متوفيك أي مستوفي أجلك ... عاصما إياك من قتلهم."
+ أو قابضك من الأرض،
+ أو متوفيك نائماً.
+ أو مميّتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت.

(وقد سبق أن أوردت رأيه هذا في صدد الحديث عن التفسير المجازي ولكن أضاف قائلاً):
+ وقيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء وإليه ذهب النصارى"
ومن آراء علماء المفسرين المسلمين الأفاضل ما جاء في:

٤- في تفسير ابن كثير عن إدريس أنه قال: "مات المسيح ثلاثة أيام ثم بعثه الله ورفع"

الرد

والآن أتناول هذا الكلام بالتحليل والرد:

أولاً: تضارب الأقوال:

لعلك قد لاحظت يا عزيزي المستمع مدى التضارب والتخبط في الأقوال بخصوص موت المسيح، فبين منكر للموت تماماً ويفسرونه على أنه: نوم، أو وفاء الأجل، أو موت الشهوات.

وبين من يقبل الموت ولكنهم يختلفون في مدته: ثلاث ساعات أو سبعة ساعات أو ثلاثة أيام.

وفي هذا السياق أعود لأذكر بالقاعدة القانونية التي سبق أن ذكرناها في اللقاء السابق وهي التي تقول أنه:

"إذا تضاربت أقوال الشهود كان ذلك

برهاناً على بطلان الادعاء أساساً"!!!

فالادعاءات الخاصة بنفي حقيقة صلب المسيح وموته، لا تتفق فيما بينها، وهذا دليل قاطع على بطلانها. وتبقى حقيقة صلب المسيح وموته فوق كل الشبهات وأقوى من أدلة نفيها.

ثانياً: الرد على التفسير المجازي:

على أنه للرد على الفريق الذي يفسر وفاة المسيح بالمعنى المجازي نوضح قاعدة لغوية هامة لا ينبغي أن تفوت على هؤلاء المفسرين الكبار، وهي أنه إذا استخدمت "كلمة" (آية كلمة) في غير معناها الحقيقي لتفيد معنى مجازياً ينبغي أن تكون معها قرينة في نفس الجملة. كما ورد في الآيتين التاليتين بخصوص النوم:

+ سورة الزمر (٤٢): "الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى" حيث يذكر القرينة وهي التي لم تمت في منامها التي تخرج الوفاة من معناها الحقيقي وهو الموت إلى معنى النوم.

وهكذا أيضاً في: + سورة الأنعام (٦٠) "وهو الذي يتوفاكم بالليل" حيث يذكر القرينة وهي الليل التي تخرج الوفاة من معناها الحقيقي وهو الموت إلى معنى النوم بالليل.

والواقع أنه في كل سور القرآن الكريم لم ترد كلمة الوفاة بالمعنى المجازي إلا في هاتين الآيتين، في حين أنها وردت ٢٥ مرة في القرآن الكريم بمعنى الموت الحقيقي، أورد هنا بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

١- سورة الزمر (٤٢) "الله يتوفى الأنفس حين موتها"

٢- سورة النساء (١٤) "حتى يتوفاهن الموت"

٣- سورة السجدة (١١) "يتوفاكم ملاك الموت"

وهناك العديد من الآيات القرآنية بهذه الصورة التي توضح أن معنى الوفاة هو الموت الحقيقي ما لم ترد معها قرينة تخرجها عن معناها الحقيقي لتقيد معنى مجازيا. ولم يرد بخصوص وفاة المسيح بالآيات القرآنية أية قرائن تخرجها عن المعنى الحقيقي وهو الموت لتقيد المعنى المجازي على الإطلاق.

ثالثا: تعارض تفسير البيضاوي مع آيات القرآن الكريم:

إن قول البيضاوي في تفسيره المجازي للوفاة قال: "أي مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت"

نقول للإمام البضاوي مع احترامنا لك ولرأيك، ما رأيك أيها الفقيه الجليل في قول القرآن والمفسرين عن المسيح أنه دعي مسيحا لأنه ممسوح من الأوزار، كما سبق أن أوضحنا ونعود نذكر بما قلناه ففي:

+ سورة مريم، يقول فيها الملاك: "قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا (أي طاهرا)" فالمسيح بشر طاهر.

+ سورة آل عمران "وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها (أي المسيح) من الشيطان الرجيم".
+ وقال الإمام الرازي في تفسير كلمة (المسيح) "أنه مسح من الأوزار والآثام ... مسحه جبريل بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صونا من مس الشيطان [تفسير الرازي جزء ٣ ص ٦٧٦].
+ وعن أبي هريرة قال [سمعت رسول الله (ص) يقول ما من مولود من بني آدم إلا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من لمسه إياه، إلا مريم وابنها]
+ وجاء في صحيح البخاري "ابن آدم يطعنه الشيطان في جنبه بإصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب (الشيطان) ليطعن فطعن في الحجاب. أي لم يمسه بشيء".

من هذا يتضح لنا جليا أن المسيح هو وحده الطاهر الذي لم يستطيع الشيطان مسه. فكيف يتجرأ الإمام البيضاوي ويقول "مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت".

إذا فالمعنى المجازي الذي ذهب إليه الإمام الجليل البيضاوي هو عار من الصحة، ولا يبقى أمامه إلا قوله الذي رجحه عن موت المسيح الحقيقي بقوله: أماته الله سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء وهذا ما ذهب إليه النصاري

رابعا: حقيقة الأمر في موت المسيح:

الواقع أنه رغم اختلاف مفسري الإسلام في تحديد مدة موت المسيح، لكنهم قد اقتربوا من الحقيقة وخاصة ما جاء بتفسير ابن كثير عن إدريس الذي قال: "مات المسيح ثلاثة أيام ثم بعثه الله ورفعته"

ولكي نعرف حقيقة موت المسيح كاملة بعيدا عن تخطئ مفسري الإسلام وشكوكهم علينا أن نرجع للكتاب المقدس كأمر القرآن الكريم نفسه، إذ يقول:

+ في سورة يونس (٩٤): "إن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ..."
+ وفي سورة النحل (٤٣): "وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"
وقد وردت نفس هذه الآية في سورة الأنبياء (٧)
+ وقد جاء بتفسير الجالين (ص ٣٥٧): "أهل الذكر هم العلماء بالتوراة والإنجيل وفي قوله (إن كنتم لا تعلمون) "يقصد أن أهل الذكر يعلمونه"

وبناء على وصية القرآن الكريم نحن نوضح حقيقة صلب المسيح وموته لغير العارفين، وللذين هم في شك أيضا من جهة هذا الأمر. فدعنا نوضح ذلك من الكتاب المقدس، ومن التاريخ:

أولاً: من الكتاب المقدس:

تكلمنا في اللقاء السابق عن شهادة الكتاب المقدس عن صلب المسيح واليوم نقم شهادة الكتاب المقدس عن:

• موت المسيح:

١- (يو ١٩: ٣٣) "وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه (كالصين) لأنهم رأوه قد مات، ولكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء، والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم"

٢- (رو ٥: ٨ و ٦) "لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفجار ... ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا"

٣- (رو ٨: ٣٤) "من هو الذي يدين؟ هو المسيح الذي مات، بل بالحري قام أيضاً" وهناك آيات عديدة توضح أن المسيح قد مات من أجل الخطاة. ويشهد الكتاب المقدس أيضاً عن:

• قيامة المسيح:

١- (أع ٢: ٣٢) "فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهداء لذلك"

٢- (مر ١٦: ٦) "وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدالية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاليتين ويدهنه. وباكراً جداً في أول الأسبوع أتت إلى القبر إذ طلعت الشمس. وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر. فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج. لأنه كان عظيماً. ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاء فاندھشن، فقال لهن لا تتدهشن أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. قد قام. ليس هو ههنا. هوذا الموضع الذي وضعوه فيه"

٣- (١ كو ١٥: ٤-٨) "فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب وأنه ظهر لصفا (بطرس) ثم للإثني عشر، وبعد ذلك دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باق إلى الآن ومنهم من قد رقدوا وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا"

ثانياً: شهادة علم الآثار والتاريخ:

ذكرنا في اللقاء السابق شهادة علم الآثار والتاريخ لصلب المسيح وها نحن نوضح منها أن المسيح قد مات وقتل فعلاً وأنه قام من الأموات حياً:

(١) فقد عثر علماء الآثار على أصل الحكم الذي أصدره بيلاطس البنطي وإلى اليهودية بصلب المسيح:

١- وهو عبارة عن لوح من النحاس الأصفر منقوش عليه باللغة العبرية.

٢- وتم الكشف في عام ١٢٨٠ بمدينة أكويا من أعمال نابولي أثناء البحث عن الآثار الرومانية.

٣- [نص الحكم الذي أصدره بيلاطس البنطي على يسوع الناصري بالموت صلباً:

في السنة السابعة عشرة من حكم الامبراطور طيباريوس قيصر الموافق اليوم الخامس والعشرين من شهر أزار بمدينة أورشليم المقدسة في عهد الحبرين حنان وقيافا وحكم بيلاطس الوالي الجالس للقضاء في دار مجمع البروتورين على يسوع الناصري بالموت صلباً بناء على الشهادات الكثيرة البينة المقدمة من الشعب أن يسوع الناصري:

أولاً: مضل يسوق الناس إلى الضلال.

ثانياً: إنه يحرض الناس على الشغب والهيّاج.

ثالثاً: أنه عدو الناموس.

رابعاً: أنه يدعو نفسه ابن الله.

خامساً: أنه يدعو نفسه ملك اليهود.

سادسا: أنه دخل الهيكل ومعه جمع غفير من الناس حاملين سعف النخل.

فلهذا يأمر بيلاطس البنطي كونيبيوس كرنيليوس قائد المئة الأولى أن يأتي بيسوع إلى المحل المعد لقتله وعليه أيضا أن يمنع كل من يتعدى لتنفيذ هذا الحكم فقيرا كان أم غنيا.

(٢) يؤيد هذا ما جاء في التلمود المطبوع في أمستردام سنة ١٦٤٣ في فصل: السنهديم ص ٤٣ حيث قيل:

[إن يسوع قد صلب قبل الفصح بيوم واحد وأنه قتل لأنه ساحر وقصد أن يخدع إسرائيل]

ودون يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي عاصر الرسل في الفصل الثالث: [قد نشأ يسوع إنسانا حكيما .. وادعى أنه المسيح، وعندما حكم عليه بيلاطس البنطي بالموت صلبا بسبب شكاية وجوه أمتنا بقي الذين كانوا قبلا يعتبرونه يفعلون هكذا لأنه عاد فظهر حيا في اليوم الثالث. وشيعة المسيحيين الذين أخذوا اسمهم منه باقون إلى نفس هذا اليوم]

شهادة تاسيتوس المؤرخ الروماني الذي دون حوادث المملكة الرومانية من موت أوغسطس قيصر سنة ١٤ م إلى موت نيرون سنة ٦٨م قال عن المسيح: [كانت هناك فئة من الشعب اسمهم عند العامة مسيحيين وقد اتخذوا إسمهم من المسيح رئيسهم الذي قتل كمذنب في ملك طيباريوس عند ما كان بنطيوس بيلاطس واليا]

كتابات الفيلسوف الوثني سلسوس الذي كتب ضد عقيدة المسيحيين بخصوص لاهوت المسيح قال: [لو كان اعتقاد دعاة المسيح صحيحا فكيف أنكره أحدهم وكيف خانته الآخر حتى دفعه للموت. وكيف يعبدون مسيحا مصلوبا]

كتب الفيلسوف الشهيد يوستينوس والعلامة ترتليانوس من آباء الكنيسة في القرن الثاني الميلادي إن حكم بيلاطس البنطي بقتل المسيح مصلوبا، محفوظ في سجلات الإمبراطورية الرومانية بروما.

[Ante Nicene Fathers Vol. 1 P160]

هكذا رأينا أيها الأحباء الرد على اعتراض وما قتلوه ولكن رفعه الله إليه، وقد ناقشنا:

- ١- تضارب أقوال المفسرين المسلمين في تفسير معنى الوفاة، بين المجاز والحقيقة.
- ٢- وتضارب أقوالهم عن مدة وفاة السيد المسيح، ثلاث ساعات، أم سبعة ساعات، أم ثلاثة أيام.
- ٣- شهادة الكتاب المقدس والتاريخ لموت المسيح ودفنه وقيامته في اليوم الثالث.

أما بخصوص التضارب بين ما جاء في سورة النساء ١٥٧ عن وما صلبوه ولكن شبه لهم، وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه، أقول التضارب بين ذلك وبين بقية الآيات القرآنية التي تشهد بوفاة المسيح، فموعدنا معه في الكتاب القادم بمشيئة الله، فإلى اللقاء.